

قصة بقية

رينو بولسافي

# الرسائل السبعة

ذات بدايات ايجدية متتالية : اليساندرو ، بارتولوميو ، كايو ، دومينيكو ، ايتوري ، فيديريكو ، غريغوريو .  
وبما اني لم اعتد ابدا البعد عن بيتي ، فقد ارسلت

اولهم ، اي اليساندرو ، مساء اول يوم من ايام الرحلة . .  
وكنا عندها قد تجاوزنا الثلاثين عقدة . ثم اني وفي  
المساء التالي ، وكما اضمن توالي اتصالي ، ارسلت الثاني ،  
ثم الثالث ، ثم الرابع على التتابع ، وذلك حتى الليلة  
الثامنة من ليالي السفر والتي سافر فيها غريغوريو . .  
ولم يكن الاول قد عاد بعد . لكنه لحق بنا في الليلة  
العاشرة بينما كنا نعد المخيم للمبيت في واد غير اهل .  
وقد علمت من اليساندرو بان سرعته كانت اقل من  
المتوقع ، وكنت قد حسبت بأنه اذا ما تقدم وحيدا وعلى  
صهوة حصان اصيل ، فقد يكون باستطاعته ان يتجاوز ،  
في نفس الوقت ، مسافة اكبر من المسافة التي قد تقطعها  
نحن بمرتين ، لكنه لم يتمكن من تجاوز المرة ونصف المرة ،  
وهكذا وفي يوم واحد ، وعندما قطعنا نحن اربعين عقدة ،  
كان هو قد التهم ستين ليس اكثر .

وقد حدث الامر ذاته مع الآخرين . فبارتولوميو  
الذي سافر في الامسية الثالثة من امسيات الرحلة ، لحق  
بنا في الليلة الخامسة عشرة . اما كايو الذي سافر في  
الليلة الرابعة ، فلم يلحق طريق العودة الا في الليلة  
العشرين . وقد تأكدت بسرعة بأنه يكفي ان اضاعف خمس  
مرات الايام التي مضت حتى ذلك الوقت كيما نعرف متى  
يمكن للرسول اللحاق بنا .

وكنا كلما ابتعدنا عن العاصمة كان طريق الرسل  
يصبح اطول مرة بعد مرة . وبعد خمسين يوما من المسير  
كانت المسافة الفاصلة بين وصول رسول واخر تتزايد  
بصورة محسوسة . وبينما كنت سابقا ارى واحدا منهم  
يصل المخيم كل خمسة ايام ، اصبحت هذه المدة تقرب  
الخمس والعشرين يوما ، وهكذا فان صوت مدينتي كان  
يتزايد وهنا . وكانت تمر اسابيع كاملة دون ان احصل  
على خبر عنها .

وبعد ان امضيت ستة اشهر بحالها - وكنا قد عبرنا  
جبال القازان - اصبحت المسافة التي تفصل وصولنا عن

بعد سفري لاكتشاف مملكة ابي ، كنت ابتعد يوما  
بعد يوم عن مدينتي ، والاخبار التي كانت تصلني كانت  
تقل باطراد .

بدأت رحلتي بعد مانهزني الثلاثين من عمري ، وقد  
انقضت حتى الان ثماني سنوات واكثر ، وبصورة ادق  
سنة اشهر وخمسة عشر يوما امضيتها كلها في سير  
متواصل . وقد كان اعتقادي راسخا ، ساعة سفري ،  
باني سأصل بكل سهولة وفي غضون اسابيع قليلة الى  
حدود المملكة . لكنني كنت التقي دائما بناس وأمر ببلدان ،  
واينما حللت كان هناك رجال يتكلمون لغتي نفسها ،  
ويقولون بانهم من رعاياي . وقد حسبت ان بوصلة تابعي  
الجغرافي قد جنت وبأني مع اعتقادي اننا كنا في اتجاه  
الجنوب ، فقد كنا في الواقع ندور حول انفسنا ، دون ان  
تزيد المسافة التي تفصلنا عن العاصمة . . وكان بإمكان  
هذا ان يفسر سبب عدم بلوغنا الحدود القصوى .

وكان الشك غالبا ما يورقني بأن هذه الحدود غير  
موجودة وبأن هذه المملكة ممتدة دون ان يحدها اي حد ،  
وبأني مهما سرت ، فلن استطيع ابدا بلوغ النهاية .

لقد شرعت مسيري وعمري يناهز الثلاثين ، متأخرا  
جدا ربما ، وكان اصداقائي بل حتى افراد عائلتي يهزأون  
من مشروعهم مرددين بأنه هدر غير مجد لاجل سني  
حياتي . وفي الواقع فقد كانوا قللة اصداقائي المخلصين  
الذين ابداوا الرحلة .

ومع اني كنت شاردا التفكير - اكثر مما انا عليه  
الان - فقد شغلني قضية الاتصال بأعزائي خلال الرحلة ،  
ولهذا فقد اخترت من بين فرسان تبغي افضل سبعة  
فرسان ليكونوا رسلي .

وكنيت اعتقد بأنني قد بالفت حين اخترت سبعة .  
لكنني وبمضي الزمن كنت الحظ ، على العكس ، بأنهم كانوا  
وبصورة مضحكة غير كافين ، هذا مع ان احدا منهم لم  
يقع مريضا ولم يختطفه قاطع طريق ولم يجانب المسيرة ،  
كما ان سبعتهم قد خدموني باخلاص وبطريقة من  
العسير مكافأتها .

وقد لجأت ، لاجل التمييز بينهم ، لاعطائهم اسماء

وصول الرسول اربعة اشهر كاملة . وقد اصبحت الاخبار التي كانت تأتيني اخبارا قديمة ، كما ان غلافات الرسائل كانت تصلني مجمدة مثنية واحيانا ملطخة ببقع الرطوبة نتيجة اثر الليالي التي كان يقضيها فسي العراء من كان يأتيها بها .

ولنمض اماما . . فعبثا كنت احاول اقتناع نفسي بأن السحب الجارية فوقى انما هي مثل سحب طفولتي ، وبأن سماء المدينة البعيدة ليست مختلفة عن القبة الزرقاء التي تعلوني ، وبأن الهواء هو نفسه ، وهكذا نسمة الريح ، وبأن اصوات العصافير كلها متشابهة . لكن السحب والسماء والهواء والرياح والعصافير كانت تبدو لي ، في الحقيقة ، اشياء جديدة ومختلفة . وكنت انا اشعر بأني غريب .

وأماما اماما ، فالهائمون الذين قابلتهم في السهول كانوا يقولون لي بأن الحدود ليست بعيدة . ولذا كنت احث رجالي على الا يخلدوا للراحة ، كما كنت اطفىء لكلمات التردد التي كانت تعلو شفاههم . وكان قد مضى على سفري اربع سنوات . . فأني ارهاق متواصل !

\*\*\*

لقد اصبحت العاصمة وبيتي وأبي ، وبصورة غريبة ، اشياء جد بعيدة ، حتى اني لم اكن لاصدق الامر . ان عشرين شهرا من الصمت والوحدة تمضي الان بين ظهور رسول واخر . لقد اصبحوا يحملون لي رسائل غريبة قد صفرها الزمن ، وكنت أجد أسماء منسية وأساليب كلام لا أعرفها وعواطف لا أفهمها . وفي الصباح التالي ، وبعد ليلة واحدة من الراحة ، وبينما كنا في سبيلنا لمعاودة المسير ، سافر الرسول في الاتجاه المعاكس ذاهبا الى المدينة ومعه الرسائل التي كنت قد أعددتها له منذ وقت طويل .

ومضت ثماني سنوات ونصف ، ودخل دومينيكو هذه الليلة ، بينما كنت اتناول طعام عشائي وحيدا ، وما زالت لديه المقدرة على الابتسام رغم ان التعب كان قد حطمه . اني لم أراه منذ سبع سنوات تقريبا ، وخلال هذا الوقت كان هو يركض عبر سهول وغابات وقفار ، ومن يعلم كم من المرات قد اضطر لتبديل حصانه ، كل ذلك كيما يحمل لي هذه الحزمة من الرسائل التي ليس لي اية رغبة حتى الان في فضها . اما هو فقد ذهب الان للنوم ، وسيعاود السفر مع فجر الفد .

انها سفرته الاخيرة . وقد حسبت فسي دفتر ملاحظاتي بأنه ، اذا ما سارت الامور على ما يرام ، واذا ما تابعت انا مسيري وهو مسيره . كما فعل كل منا حتى الان ، فاني لن استطيع رؤية دومينيكو مرة ثانية الا بعد اربع وثلاثين سنة . وعندها سيكون عمري اثنين وسبعين . لكنني بدأت اشعر بالارهاق ، ومن المحتمل ان يلحق بي الموت قبل ذلك . وهكذا فاني لن أراه ثانية على الاطلاق .

بعد اربع وثلاثين سنة ( بل قبلها بزمن طويل )

سيرى دومينيكو ، وعلى غير انتظار ، نيران مخيمسي وسيستسأل عن سبب اني لم اقطع ، خلال تلك المدة ، الا مسافة هكذا قصيرة . وفي مساء كهذا المساء سيدخل الرسول الطيب خيمتي وفي يده رسائل صفراء من تعاقب السنين ، مليئة باخبار حمقاء عن زمن قد غمره النسيان . لكنه سيتوقف عند العتبة اذ يراني مهردا في مرقدي واثنان من الجنود وفي ايديهما مشاعلهما على جانبي وانا ميت ومع ذلك فاذهب يادومينيكو ، ولا تقل لي اني قاسي القلب ، احمل سلامي الاخير الى المدينة حيث ولدت .

انك انت الصلة الوحيدة المتبقية مع عالم كان في يوم من الايام عالمي ايضا . لقد جعلتني الرسائل الاخيرة ادرك بان اشياء كثيرة قد تغيرت ، بان ابي قدم مات ، بان التاج قد ذهب لآخي الاكبر ، وبانهم يعتبرونني الان مفقودا وبانهم قد بنوا ابنية عالية من الحجارة هناك حيث كانت توجد اشجار القرمة الضخمة والتي كنت عادة العب تحتها . لكن ومع هذا فهو وطني انك انت الصلة بيني وبينهم يادومينيكو . اما الرسول الخاص ، ايتوري ، والسدي سيلحق بي ، بمشيئة الله ، بعد عام وثمانية اشهر ، فهو لن يستطيع السفر بعدها لانه لن يستطيع الوصول .

بعذك الصمت يادومينيكو . هذا ان لم أجد أنا الحدود المبكية . لكنني كلما غذذت المسير كلما ازداد اقتناعي بان لا حدود لا توجد ، كما اشك ، حدود ذلك ، على الاقل ، وفق المعاني التي اعتدنا التفكير من خلالها . اذ انه لا توجد جدران فاصلة ولا وديان تقسم ولا جبال تمنع الخطو . ومن المحتمل ان اتجاوز الحد ودون ان الحظ ذلك وان استمر في التقدم وكلي جهل بالامر .

ولهذا فقد قررت ، حالما يعود ايتوري والرسول الآخرون بعده ، الا اتركهم يأخذون مرة اخرى طريق العاصمة ، بل ان اجعلهم يتقدموني ويسافرون امامي ، وهكذا اعلم وبصورة مسبقة ما هو بانتظاري .

ان قلنا لم اعهدده يشتغل بي منذ زمن طويل كلما حل المساء ، انه ليس ، بعد ، ندما على الافراح البعيدة ، ذلك كما كان يحدث اولى ايام الرحلة ، بل هو تعجل لمعرفة الاراضي المجهولة التي اتجه نحوها .

وقد بدأت ، الاحظ - ولم أسر بهذا لاحد بعد - قد بدأت الاحظ يوما بعد يوم ، وكلما تقدمت شيئا فشيئا نحو الهدف المستحيل ، بان نورا غير معهود ، لم يبد لي على الاطلاق ولا حتى في الاحلام ، يشع في السماء وهكذا فان النباتات والانهار والجبال التي كنا نقطع تبدو وكأن لها جوها مختلفا عن ذلك المعتاد ، كما ان الهواء يبدو وكأنه يحمل تباشير وندورا لا ادري ماذا اسميها . ان املا جديدا سيحل بي صباح الفد وعلى مقربة من هذا المكان ، قرب تلك الجبال التي تحدها ظلال الليل . ومرة اخرى ساقوض المخيم ، هذا بينما يكون دومينيكو قد تلاشى في أفق الجهة المعاكسة ، حاملا لمدينة سحيقة البعد رسالة مني غير ذات نفع .

ترجمة نبيل مهاني